من ينشر ثقافة الكراهية؟

التقييم : جيد جداً

2009/1/1

"إطلاق الصواريخ نحو مدن جنوب فلسطين المحتلة يعكس ثقافة الكراهية للعالم الحر". تلك هي احد أهم القراءات التي تحاول إسرائيل تسويقها في الإعلام اليوم. فما تقوم به إسرائيل هي أنها تساعد العالم الحر في التخلص ممن يروج لثقافة الكراهية في إشارة لإحدى حركات الإسلام السياسي (حماس)، تلك هي الوظيفة المقدسة التي تزجيها الدولة العبرية بالنيابة عن ذلك العالم الذي يسمي نفسه حرا وديمقراطيا.

ربما يتذكر الكثيرون ردة الفعل الأميركية يوم هوجمت نيويورك وواشنطن، حينها رددت نفس العبارات بان ما جرى إنما هو محاولة لنشر ثقافة الكراهية وعدم رضا عن أسلوب الحياة الأميركي، حينها جيشت واشنطن العالم كله خلفها لمحاربة تلك الفئة وذلك الفكر، شنت ثلاثة حروب الأولي على أفغانستان والثانية على العراق وثالثة على ما يسمى بالإرهاب باسم مواجهة ثقافة الكراهية. أنفقت الملايين لتحسين الصورة السلبية للولايات المتحدة لكنها لم تكن لتؤثر في الرأي العام العربي والإسلامي الذي فصل ويفصل بين المواقف السياسية الأميركية وبين التقدم العلمي والتكنولوجي.

إسرائيل كانت دائما تقدم نفسها كضحية لأنها من العالم الحر، وأنها رغم القوة العسكرية والدعم الأميركي والغربي لها فإنها غير آمنة، قبلتها بعض الحكومات في المنطقة، ووضعت إسرائيل نفسها جنبا إلى جنب مع القوة الحرة التي تريد السلام والتعايش مع أهالي المنطقة، لكن الحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها أن إسرائيل أخذت ولم تعط. الدولة العبرية كانت تحرص على أعادة صياغة خريطة القوى السياسية في المنطقة، صنفتها بمساعدة واشنطن إلى من هو مع ومن هو ضد، أعادت بمساعدة الإدارة الجمهورية سياسة المحاور أملا في تغيير مسميات الأشياء ومساراتها. العمل الدؤوب الذي جرى على تقديم دول إقليمية على أنها أكثر خطرا على الأمن الإقليمي كإيران كان احدى هذه المسارات، كان هذا جزءا من التنافس غير المرئي بين إسرائيل وإيران بوصفهما لاعبين غير عرب في منطقة الشرق الأوسط، تنافس لملء فراغ سياسي وامني ظهر بعد احتلال العراق. غاب بل غيبت حقائق مهمة منها أن هناك ارضا محتلة وشعبا تحت الاحتلال ومعاناة يومية عبر الحواجز. غابت بل غيبت حقيقة أن إسرائيل لن تكون إلا إسرائيل الدولة الدينية التي يحكمها منطق علماني، وأنها قامت على أساس تقديم الأرض لسكان قدمتهم للعالم على أنهم بلا ارض. يوم أن تنازلت الدولة العبرية عن غزة والضفة لم يكن تنازلا وتجاوزا للحلم الإسرائيلي، بل كان مشروطا بان يكون من يحكم هذه المناطق مرتبطا بإسرائيل، وبالتالي تحولت الضفة والقطاع بعد اوسلو من مناطق محتلة مباشرة إلى مناطق نفوذ سياسي وامني وبكلفة أقل.

ثمة مسعى واضح لتطويع إرادة أهل المنطقة لقبول إسرائيل كما هي من دون أن تغير في سلوكها، بل وحتى من دون أن يتساءل الناس حول مشروعية وجودها، ذات المسعى اخذ أبعادا متعددة لدمجها في المنطقة وإزالة الحدود النفسية بينها وبين أهل المنطقة. حين لم يتحقق ذلك صار اللوم موجها لتلك القوى المعارضة لدمج إسرائيل وقبولها، باعتبار أنها مسؤولة وليس السياسات الإسرائيلية. من هنا جاء الفرز السياسي في المنطقة وظهرت المحاور السياسية.

لقد أثبتت كل نظريات العلاقات الدولية فشلها العملي في تحليل ما يجري في هذه المنطقة، فكل النظريات التي تتحدث عن الدبلوماسية والمرونة السياسية وتعدد الخيارات كلها غابت فأصبحت المنطقة وسياستها بين منطقين (مع أو ضد). فمن يؤيد فهو جزء من العالم الحر وإن لم يكن ديمقراطيا، ومن يرفض فانه مروج لثقافة الكراهية والتطرف، منطق ضاعف من الشروخ الاقتصادية والسياسية في المنطقة، وهو ربما يهدد مستقبل العلاقة بين الحكومات وشعوبها.

ما يجري في غزة وما جرى في لبنان وفي رام الله من قبل يعطي خلاصة واحدة أن من ينتج ثقافة الكراهية ويروجها بامتياز هو سياسات المحتل من استعلاء وقتل وتشريد ومحاصرة. تأييد العالم وسكوته على هذه السياسات لا يمكن أن يجعل ما تفعله إسرائيل مقبولا حتى ولو أعطى ما يسمى بالمجتمع الدولي شرعية لذلك.

mahjoob.zweiri@alghad.jo

محجوب الزويري